

الإسلام نهى عن الإسراف وأكد أنه مذموم وينتهي إلى التهلكة

# المسرف سفيه في نظر العقلاء بغيض في عين الشريعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه

صححه الألباني



صححه الألباني

ويبقى أمام المستفيد منها أن يعتدل ولا يسرف.

## أسباب الإسراف

ولا يعني ذلك أن يحيا الفرد أو الأسرة بعيداً عن الترفيه، فهذا غير واقعي ولا يناسب النفس البشرية، ولكن المطلوب أن يمارس الترفيه في الحدود المقبولة كما وكيفا، بما يتناسب وإمكانيات الفرد والأسرة، وذلك في مجالات البوت، والترويح عن النفس، أو في المناسبات الاجتماعية كالأفراح، أو الاحتفال بالإنجاز وأعياد الميلاد، أو رحلات المصايف... الخ. ومن فضل الله أن كل هذه الصور متاحة لختلف المستويات والدخول،

وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه: «من أنفق درهما في غير حقه فهو سرف». ولا يعني ذلك أن يحيا الفرد أو الأسرة بعيداً عن الترفيه، فهذا غير واقعي ولا يناسب النفس البشرية، ولكن المطلوب أن يمارس الترفيه في الحدود المقبولة كما وكيفا، بما يتناسب وإمكانيات الفرد والأسرة، وذلك في مجالات البوت، والترويح عن النفس، أو في المناسبات الاجتماعية كالأفراح، أو الاحتفال بالإنجاز وأعياد الميلاد، أو رحلات المصايف... الخ. ومن فضل الله أن كل هذه الصور متاحة لختلف المستويات والدخول،

في الإنفاق من خلال العديد من الأحاديث الشريفة وسلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، ونشير هنا على وجه السرعة إلى قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله امرئ، اكتسب طيباً، وانفق قصداً، وادخر ليوم فقره وحاجته»، عن ابن النجار عن عائشة رضي الله عنها، ضعفه السيوطي في الجامع الصغير. والإسراف كما يكون من الغنى، فقد يكون من الفقر أيضاً، لأنه أمر نسبي. والإسراف يكون تارة بالفقر، ويكون تارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً»،

في عالما العربي عامة والخليجي خاصة يأتي الإسراف على رأس الأمور التي تؤدي إلى الاستدانة ولاشك أن المسرف يجهل تعاليم الدين الذي ينهي عن الإسراف بشتى صورته، فلو كان مطلعاً على القرآن الكريم والسنة النبوية لما اتصف بالإسراف الذي نهى عنه «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تيسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً»، وفي الآخرة العقاب الأليم والعذاب الشديد «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سحوم وحميم وظل من يحومم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين».

يظن المسرف أن المجتمع ينظر إليه بإعجاب، والحقيقة غير ذلك، فالعقلاء يرونه سفيهاً، ولا يجدون أن يكونوا على شاكلته، بينما قد يخدعه من هم على دربه. وفي فترات الشيخوخة، أو نفاذ المال ونضوب مصادره يعرض المسرف على يديه، وقت لا يتفجع الندم، ولا يجد حوله من أصدقاء الإسراف إلا من هم على شاكلته نادمين، ينتظرون مساعدات الآخرين، أو على الأقل يعيشون في مستوى من الإنفاق والاستهلاك أقل من المتوسط، وكان بإمكانهم أن يكونوا أحسن حالا لو أنهم قدموا لأنفسهم.

ويحضرنا هنا ما ورد في كتاب الله عز وجل لتوضيح المنهج الذي ينبغي أن يتبع في الاستهلاك والإنفاق، فيقول الحق تبارك وتعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً، الإسراء:29». فخير الأمور الوسط، فلا إسراف ولا تقتير. وتبين السنة أهمية الاعتدال

على دين خليله فلينظر أحكم من يخالسه»، تبدل الأحوال المعيشية للأفضل، قد يكون هذا أحد أبواب الإسراف، إذ يشعر الفرد بنوع من الحرمان يدفعه لسوء التصرف، وممارسة سلوك مسرف حب الظهور والسعي لتقليد الآخرين.

ومن آثاره السلبية تبديد الموارد، وهي آفة تعمل على إفقار الفرد والمجتمع على الأجل المتوسط والبعيد، فضلاً عن الفرصة البديلة والمسؤولية الأسرية. ومن هنا لو علم الفرد هذه الأمور لادرك أن الإسراف سيؤدي به إلى سوء العقاب، الصحة السيئة، قد يبني الفرد أو يسعى لمصاحبة مسرفين، فيدفعونه إلى هذا السلوك السيء، وكما قال صلى الله عليه وسلم «المرء

نوعاً من الاعتدال السلوكي أو يجعله مكوناً أصيلاً في شخصية الفرد وثقافته، عدم الإدراك بطبيعة الحياة، وأنها ليست على وتيرة واحدة، وقدرة على الكسب تختلف ومرور الوقت والعمر، فمرحلة الشباب غير مرحلة الرجولة والكهولة، ثم الشيخوخة، أو فترات العزوبية غير مرحلة المسؤولية الأسرية. ومن هنا لو علم الفرد هذه الأمور لادرك أن الإسراف سيؤدي به إلى سوء العقاب، الصحة السيئة، قد يبني الفرد أو يسعى لمصاحبة مسرفين، فيدفعونه إلى هذا السلوك السيء، وكما قال صلى الله عليه وسلم «المرء

## الطريق إلى نيل العلم.. وآثار الجهل



المتعلم الذي يبتغي طلب العلم ينبغي عليه شروط من أهمها: إخلاص النية لوجه الله تعالى، تقوى الله ومراقبته في السر والعلن، الصبر وتحمل المشاق وسعة الصدر، فإن العلم جهد لا شهوة، الأخذ عن العلماء الموثوقين في علمهم ودينهم وتوقير العلماء وإكرامهم والتدابير معهم، وحفظ مكانتهم، وتوقير مجالسهم، وحسن السؤال والإصغاء، التفرغ للعلم والإقبال عليه، بشرط التوازن وعدم الإخلال بالواجبات الأخرى، المحافظة على الأوقات، وحسن ترتيبها، والحرص على استغلالها، كثرة الاستغفار والتوبة والدعاء، والانطراح بين يدي الله وسؤاله العلم النافع والعلم الصالح، ذكر الموت والآخرة، ليعين على شغل الوقت بالنافع، ترك الفضول من الكلام والسماع والنظر والخلطة والمنام، مخالطة من هم أكثر علماً وفهماً، لتلا يقنع الطالب بما حصل من علم، فيحرص على الاستزادة، وليتجنب العجب والغرور.

### معوقات طلب العلم

- 1 - فساد النية: حب التصدر والشهرة ويجب مجاهدة النفس.
- 2 - التفريط في حلقات العلم: لو لم يكن فيها إلا السكينة التي تنتزل على حاضر فيها لكفى.
- 3 - التذرع بجزرة الأشغال: وهذا مدخل رئيسي للشيطان فيجب ترتيب الأوقات.
- 4 - التفريط في طلب العلم في الصغر: إن الإنسان ليغبط أناساً أصغر منه سناً وأكبر همة.
- 5 - تزكية النفس: أن يحب الشخص مدح نفسه ويفرح بسماع ثناء الناس عليه (ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا) وتزكية النفس مذمومة (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) فحب التزكية وحب الثناء من مداخل الشيطان.
- 6 - عدم العمل بالعلم: سبب من أسباب محق بركة العلم ومن أسباب قيام الحجة على صاحب العلم (كبر مفتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وزكاة العلم العمل به وتعليمه للغير.
- 7 - التسويف: وهو كما يقول أحد السلف «من جنود إبليس»

### فوائد العلم

به يعرف الله ويعبد ويوحّد.

## عمر بن عبد العزيز .. رجل عاش مع كتاب الله متديراً ومنفذاً لأوامره

رزق عمر بن عبد العزيز منذ صغره حب الإقبال على طلب العلم وحب المطالعة والمذاكرة بين العلماء كما كان يحرص على ملازمة مجالس العلم في المدينة وكانت يومئذ منارة العلم والصلاح زاخرة بالعلماء والفقهاء والصالحين، وتناقت نفسه للعلم وهو صغير وكان أول ما استبطن من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب، وجمع عمر بن عبد العزيز القرآن وهو صغير وساعده على ذلك صفاء نفسه وقدرته الكبيرة على الحفظ وتفرغه الكامل لطلب العلم والحفظ. وقد تأثر كثيراً بالقرآن الكريم في نظرتة لله عز وجل والحياة والكون والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الموت وكان يبكي لذكر الموت بالرغم من حداثة سنه ذكرت الموت. فبكت أمه حين بلغها ذلك، وقد عاش طفلة حياته مع كتاب الله عز وجل متديراً ومنفذاً لأوامره، ومن موافقه مع القرآن الكريم:

أولاً: عن ابن أبي ذيب: قال: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة، وقرأ عنده رجل: (وإذا لقوا منها مكاناً ضيقاً مقرّباً دعوا هنالك ثبوراً) فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا تشبجه، فقام من مجلسه فدخل بيته، وتفرق الناس. ومفهوم هذه الآية: إذا لقي هؤلاء المكذوبون بالساعة من النار مكاناً ضيقاً، قرّبت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال (دعوا هنالك ثبوراً). والثبور في هذا الموضوع دعا هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاء به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة.

ثانياً: عن أبي مودود قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً) فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة - زوجته - فجعلت تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهم، فجاء عبد الملك، فدخل عليهم وهم على تلك الحال فيكون فقال: يا ابنه، ما يبكيك؟ قال: خير يا بني، ود أسوأ أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار. ومعنى الآية: إن الله تعالى يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وصره مثقال ذرة في حقايرها وصغرها في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبین كقوله: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البئر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات، وكذلك الدواب المارحة في قوله: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا آثم أمثالكم)، وقال تعالى: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)، وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟ كما قال تعالى: (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)، ولهذا قال تعالى: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راعون سامعون.

ثالثاً: عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنزي قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ووراءه حبشي يمشي فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكم الله، حتى صعد المنبر، فخطب فقراً: (إذا الشمس كورت)، وما شأن الشمس؟ (وإذا النجوم انكدرت)، حتى انتهى إلى (وإذا الحميم سقرت) وإذا الجنة أزلقت) فبكى وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه. وهذه السورة جاء فيها الأوصاف التي وصف بها يوم القيامة من الأوصاف التي تنزع لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، ونزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر إلى يوم القيامة، كأنه رأي عين فليتدبر سورة (إذا الشمس كورت)، بل ثبت من مرفوعاً من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ (إذا الشمس كورت)، (إذا السماء انقطرت)، (إذا السماء انشقت).

رابعاً: وعن ميمون بن مهران قال: قرأ عمر بن عبد العزيز «أحكام التكاثر» فبكى ثم قال: «حتى رزمت المقابر» ما أرى المقابر إلا زيارة، ولابد لمن يزورها أن يرجع إلى جنة أو إلى النار، هذه بعض المواقف التي تبين تأثير القرآن الكريم على شخصية عمر بن عبد العزيز: ولا تعليق على حالنا نحن مع القرآن يكفينا سماع سير هؤلاء الصالحين لنتحسر على أنفسنا وعلى أفعالنا، وربما وسع احد منا أن يتعظ او يستفيد من حال هؤلاء السلف الصالح فيكون من الناجين بإذن رب العالمين.

الأصولية وجوباً، فإن تعلم العامي للأصول إجمالاً له فوائد عظيمة، من أهمها ما يأتي:

- 1 - علم الأصول علم شرعي يحصل بطلبه مع النية الثواب الذي رتبته الشرع على طلب العلم.
- 2 - علم الأصول يؤهل الإنسان لاستخراج أحكام الشرعية، فينقل العامي إلى رتبة الاجتهاد.
- 3 - علم الأصول يعطي الإنسان القدرة على فهم النصوص الشرعية.
- 4 - علم الأصول يوضح المصطلحات العلمية التي يستخدمها العلماء في فتاواهم ومؤلفاتهم.
- 5 - علم الأصول يجعل الإنسان يضبط كلامه ولفظه، بحيث يستخدم اللفظ الذي يريد معناه.
- 6 - علم الأصول يعطي العامي الثقة في صحة الاجتهاد الذي سار عليه المجتهد الذي يتبع كلامه.
- 7 - علم الأصول يعرف الإنسان كيف يسأل العلماء، ويعرفه من هم الذي يسألهم.

والضلالات في العقائد والعبادات، والمعاملات، وضعف الإيمان، وقلة التقوى، وازدياد المعاصي، وضعف الهيبة، كما ان الجهل بالعلم الشرعي يعد مدخلا من مداخل إبليس كما قال ابن القيم في كتابه (تلبيس إبليس).

### تحذير

قال النبي «صلى الله عليه وسلم»، «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها»، أخرج أبو داود. واحذر أخي المتعلم: الكبر والغرور بالعلم والمرأة والمخاصمة والجدل وكنم العلم فهذا يؤدي إلى نسيانه واحذر من إطلاق الفتاوى بغير علم قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع» النسائي صححه الألباني.

لئن تعين على العامي معرفة بعض القواعد

هو أساس صحة الاعتقاد والعبادات. طلب العلم عبادة. طريق الوصول إلى الجنة. يكسب صاحبه خشية الله والتواضع للخلق. يبقى أجره بعد انقطاع أجله. يرفع الوضع ويعز الدليل ويجبر الكسير.

### فائدة طلب العلم

أفضل من قيام الليل، لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد لا يعدله شيء لمن صحت نيته، بأن ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله سواء كان يدرسه أو كان يدرسه ويعلمه الناس فإنه خير من قيام الليل، وإن أمكنه أن يجمع بين الأمرين فهو أولى (ابن عثيمين رحمه الله تعالى).

### من آثار الجهل

على مستوى الفرد أو المجتمع: انتشار البدع